الفصل الأول

مدخل مفاهيمي
عن التربية والموروث الشعبي

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة:

يعيش العالم اليوم ثورة علمية وتكنولوجية كبيرة أدت إلى تغييرات هائلة في كافة مجالات الحياة ، وانعكس تأثيرها على الإنسان وبناء شخصيته ، وعلى المجتمع وسائر النشاط البشري في العالم بوجه عام. فاتسم العصر الراهن بسرعة الإيقاع ، وتلاحق الأحداث إلى الحد الذي وصفه البعض بعصر اللامعقول والقلق والقسوة والأزمات ...التي قادت البشرية إلى حالة من الاغتراب واستلاب الإرادة الانسانية. هذا ويمر العالم العربي بمرحلة مهمة من تاريخه الاجتماع سياسي يشهد فيها تغييرات جوهرية في كثير من الأوضاع – حالة تحول ثوري نحو الديمقراطية ومحاولة إرساء نظم سياسية واجتماعية جديدة تتسم بالديمقراطية والعدالة والحرية لعب فيها التطور العلمي والتكنولوجي دورا بارزا- كان البطل الأول فيها إرادة الشعب. وهذا يتطلب الوعي بتلك الإرادة الشعبية ، وسبل اجتياز هذه المرحلة بنجاح ؛ بتجدد التربية واستجلاء أسس بناء الإنسان القادر على مواجهة متغيرات ومستجدات العصر وهو موصول بماضيه وموروثة المبدع ، ومتجها صوب المستقبل.

يؤكد النظر العلمي أن أحد السبل المهمة لاجتياز الواقع المترد هو استلهام دروس الماضي ، فالموروث الشعبي يقوم من خلال الأدب بنقل الخبرات وتحقيق التواصل بين الأجيال ، مما يؤكد دوره في تحقيق الوعي بالثقافة العربية والعالمية ، وتعزيز الثقافة الوطنية. " وإذا كانت المنتجات الثقافية تعبر عن أسلوب الإنسان في الحياة وطريقته في العيش وتعبيره عن رؤيته للكون ، فمن بين جوانب الثقافة وفروعها المتعددة ، يتميز الجانب الأدبي بحضوره البارز في حياة الجماعات"

(حواس ، 2006 ، 20). ومن هنا تحتل الثقافة الشعبية موقعا بارزا في مشغوليات البحث والدراسة في مجال الوعي الاجتماعي ودورها في بناء الإنسان ، الذى يعتبر جوهر أي إنجاز حضاري.

وفي عالمنا المعاصر تجلت عديد من التغيرات في بنى البلدان كافة: السياسية، والثقافية ، والعلمية ، والخلقية والتربوية جعلت من دراسة القضايا المستجدة والمرتبطة بتلك المجالات ، وإعادة الرؤية في بناء الإنسان المعاصر ؛ أمر مهم لوضوح الرؤية حول أسس بنائه.

إن مهمة بناء الإنسان على أسس علمية سليمة ليكون ذا رؤية وفكر رصين ، ويمتلك إرادة العمل المتميز المتقن ؛ هى مهمة تربوية ليست بالسهلة ، وتمثل تحديا كبيرا أمام التربية وفلسفتها في أي مجتمع. ويتحكم في تشيد هذا البناء عوامل متشابكة ، تتصدرها التطورات العلم/تكنولوجية خاصة في الوقت الراهن والتي تمثل قاطرة التقدم والتشكل في المجتمعات المعاصرة. وهذا يؤكد ضرورة إعادة البناء العلمي والثقافي على أسس سليمة. هذا بالإضافة إلى الدعوة الغربية المتأرجحة للتحول الديمقراطي في الدول العربية والتي تتماشى مع تحقيق مصالح الغرب خاصة الولايات المتحدة الأمريكية. وقد كشف عن هذا المعنى تقرير المنظمة العربية لحقوق الإنسان للعام 2009/2010 ويكشف عنها واقع الأحداث خاصة في ظل الثورات العربية الراهنة"... فالولايات المتحدة الأمريكية ، ربطت مسألة الديمقراطية في المنطقة العربية بأهداف سياسية ومصالح خاصة لا علاقة لها بالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان"(عوض ، شلبى ، 2010 ، 288). مما يدعو

إلى ضرورة البناء السياسي الواعي للإنسان العربي. وأحد سبله هو استلهام ايجابيات الموروث الثقافي.

وإذا كان البعض يرى أن السياسة في النهاية ليست سوى مشروع ثقافي ، ونفس الفكرة تنسحب على الأنساق الاقتصادية التي تنهض في العالم على أساس مجموعة متماسكة من القيم الثقافية (يسين ، 2009 ، 14). وإذا كان من الصعب الفكاك من الموروث . إذ لافكاك من الماضي ، ومن خلال العلاقة الوثيقة بين الأدب والتربية والأدب والمجتمع ، يبدو أنه لا فكاك من الاجتماعي في التحليل الأدبي بحكم أن القارئ هو كائن اجتماعي في المقام الأول ... (على ، 2009 ، 195). فكان الشابي - الذي يراه البعض رمزا للصلة بين المشرق والمغرب ، والتجديد والتطور ، والذات والمعاصرة - يقول: "إن كنت أدعو إلى التجديد وأعمل له فإن ذلك لا يدفعني إلى الهزء والسخرية من آداب الأجداد ، بل إنني أؤمن كل الإيمان بما فيها من جمال فني وسحر قوي ، وأعتقد أنها قد أتت في عصورها الحية لأجدادنا كل ما طمحت إليه أشواقهم من غذاء معنوي دسم. ولكنى أؤمن إلى جانب ذلك أن في الحياة آفاقا مجهولة ساحرة غير ما في الأدب العربي من آفاق" (الصكر ، 2009 ، 166).

ولقد تبين من التجارب التي استوحت الأشكال السردية القديمة (ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة ، كتب السيرة والتاريخ ، والرحلات) ، أن توظيف الشكل الذاتي يخضع لإعادة تشكيل ، ويتفاعل مع مقتضيات التخيل والرؤية التي يسعى الأديب إلى بلورتها انطلاقا من الأسئلة الحاضرة ، لإزالة الحواجز المصطنعة بين

شكل تراثي "أصيل" وأخر عالمي "مستورد" (برادة ، 2008 ، 20). وهذا ما فعله ابن المقفع في كليلة ودمنة ، حيث لا تعارض بين التراث ومقتضيات الكونية.

وإذا كان رهان الجودة والإبداع هنا يتوقف على مقدرة المنتج الأدبي في إقناع القارئ بأنه يشتمل على مضمون يمتزج فيه الجمالي مع الفكري والفلسفي والتربوي والتفكير الناقد ، مع متعة القراءة ، فإن هذا ما يلمسه كل عقل قارئ لكتاب كليلة ودمنة. وإن كان البحث يهتم في المقام الأول بأسس بناء الإنسان ، فإن القيم تعني أولوية في دعم تلك الأسس ، فالقيم تصنع أمة والمعركة الحقيقية لا تكمن في مواجهة ظاهرة معينة كالعولمة أو غيرها ، بقدر ما تكون المواجهة والنضال على المستوى القيمي. وإذا فشلت التربية في امتلاك الأسس القويمة اللازمة لبناء هذا الإنسان المبدع ذا الإرادة النافذة ؛ ضاعت معها كل جهود التنمية مهما توفر من إمكانات مادية.

يعتبر بناء الإنسان وإنضاج قدراته المختلفة هو معيار البقاء والنماء في عالم اليوم والغد ، متفوقا في ذلك على تملك المجتمع للموارد الطبيعية الظاهرة والمطمورة، وعلى قوة السلاح والعتاد، وإذا كان حامد عمار يرى في مجالي التعليم والثقافة القدرة على توليد الموازنات الفكرية والقيمية والوجدانية ودافعية المشاركة الديمقراطية في صنع القرار الوطني وتحمل مسئولياته وجني ثماره. في الوقت الذي فيه واقعنا التعليمي ما يزال أسير ثقافة الذاكرة (عمار ، 2006 ، 109-114). فهذا يبرز أهمية الثقافة وضرورة التفكير النقدي في الموروث واستلهام مضامينه الإيجابية السياسية والعلمية والثقافية ، وغيرها في تغيير الواقع الراهن واستشراف

مستقبل أفضل. ودفع إمكانات التوأم التعليم والثقافة للتنمية الشاملة وإنماء تفكير الإنسان تجاه تراثه ، وتجاه المستجدات التي تفرضها ثورة المعرفة الراهنة.

ولما كانت فلسفة كل مجتمع هي نتاج لمجمل ظروفه السياسية والاقتصادية ، والثقافية ، والاجتماعية ، تلك التي تجدد طبيعة النظرة للإنسان والكون... وتسهم في صياغة الرؤية التربوية في هذا المجتمع بشكل أو بآخر (خوي ، 1999 ، 5). فإن كل الفلسفات تسعى في بناء الإنسان طبقا لرؤيتها للوجود ، والقيم العليا لديها ، وإن اختلفت في رؤيتها ، ومنهجها إلا أنها تتفق على تحقيق هذه الغاية الكبرى وهي بناء وتربية الإنسان ، على أساس أنه جوهر بناء الحضارة ، ومرتكز أساسي للتقدم.

وتناولت عديد من الدراسات الأجنبية والعربية جوانب بناء الإنسان بشكل عام والإنسان العربي بشكل خاص ، وتوصلت إلى ضرورة إعادة بنائه ليعي مقومات مجتمعه وخصائص عصره ، خاصة في ظل ما تفرضه تغييرات ومستجدات ثورة العلم والتكنولوجيا المتلاحقة ، وكذا تحديات العولمة والاختراق الغربي للثقافة والخصوصية العربية. ومن هذه الدراسات كمثال وليس على سبيل الحصر ، دراسة عمار(1992) في بناء الإنسان العربي ، ودراسته عام (1999) بعنوان: دراسات في التنمية البشرية وتعليم المستقبل. وأيضا دراسة القطب (1997) التي هدفت إلى الوصول للمتطلبات التربوية اللازمة لبناء الإنسان في المجتمع المصري ، وأوصت بضرورة بنائه على أسس سليمة ، والوقوف على أبعاد الواقع الاجتماعي وتحدياته تلك التي تؤثر في بناء الإنسان. ودراسة La Barbera & Cantelmi (2000): ودرست تأثير الثورة التكنولوجية على الإنسان والتربية.

وتوصلت إلى أن التنمية البشرية تحدث نتيجة لتفاعل مجموعة من العوامل المتنوعة والمتداخلة بهدف الوصول إلى التأثير في الإنسان وسياقه المجتمعي. ودراسة صعب (2005): والتي اهتمت بتوضيح موقع الإنسان العربي بالنسبة لثورة العلم والتكنولوجيا وتوضيح آثارها وتحدياتها عليه. وتوصلت الدراسة إلى أن مشكلة النهضة العربية تكمن في التناقض بين مظاهر الحضارة التي يعيشونها على مستوى الاستهلاك ، والتخلف في الإنتاج..وهذا يتطلب أمور عدة منها تغيير نوعية البشر باستهداف محو الأمية ونشر المعرفة وغرس أسس علمية التفكير عقلانية والسلوك.

ومع تراجع دور الدولة ومؤسساتها في القيام بدورها الاقتصادي ، والسياسي والتلاعب بمفهوم الديمقراطية و آليات المشاركة السياسية والمجتمعية عموما في ظل العولمة ؛ جعلت الحاجة ملحة لإعادة البناء السياسي وما يشتبك معه من بناء علمي/ثقافي. فالواقع الراهن يشير بالإضافة إلى بعض الدراسات إلى أن: "المجتمع العلمي في كثير من البلاد العربية ، في بدء تكوينه ومعزولا عن البني السياسية الاجتماعية ولا يزال رجال الحكم ينظرون إلى العلماء إما على أنهم موظفون لتنفيذ قراراتهم وإما على أنهم مثيرون للاضطرابات" (راشد ، 2007 ، 40). بالتالي فهناك حاجة ضرورية إلى بناء الإنسان بناءً علمياً قويماً ، وتغيير نظرة السلطة إلى العلم والعلماء والبحث العلمي ، خاصة في ظل سرعة المتغيرات والمستجدات التي يفرضها التطور العلم/ تكنولوجي الراهن.

ولما كان الإنسان لا يحيا بالخبز وحده ، وإنما يعيش بالخبز والمعاني بحاجات الجسد وبحاجات النفس والروح ، مع الواقع وبالوعي به ، مع ذاته ومع

غيره ، مع ماضيه وحاضره ، وآفاق مستقبله... حيث يمكن أن تمتد قائمة التكوين الإنساني في عناصرها وأبعادها وطاقاتها المتعددة والمتنوعة (عمار، 1988 ، 3-4) فإن العمل الحالي يطرح قضية البناء السياسي والعلمي للإنسان كأحد أهم القضايا والمعاصرة ويشاهدها العالم في أبعاد مختلفة في الثورات العربية الحالية "2012/2011 م". فقد ألهبت بربرية النظم السياسية واستبدادها الحماس الثوري الشعبي في بعض البلدان العربية ، مما أسقط تلك النظم الواحدة تلو الأخرى. إلا أن هناك الكثير من التداعيات السلبية تهدد المسار الديمقراطي في تلك البلدان ، وهذا يدعو إلى إعادة النظر في أسس بناء الإنسان العربي ، وسبل تنشئته في ظل تلك المستجدات ، خاصة على المستوى السياسي والعلمي والقيم المرتبطة بهما. وستظل المسألة السياسية والعلمية من أهم شواغل الإنسان في بناء علاقته مع الآخرين ومع الدولة وفي مدى تطور حياته ورفاهتها. ويعود البحث إلى الموروث ليقدم أنموذجا للبناء السياسي والعلمي/الثقافي في الكتاب الشهير كليلة ودمنة لابن المقفع.

وتأتي ضرورة العامل القيمي والأخلاقي في سياق إعادة صياغة بعض المفاهيم السياسية والعلمية التي تسهم في خلق توجه عام نحو رؤية واضحة لغايات المجتمع وغايات التربية وإعادة الاعتبار للتقاليد الوطنية والقومية في حياتنا اليومية ، في معارفنا وقيمنا ووعينا النظري والعملي.

أولاً: أسئلة عن مضمون العمل:

تأسيساً على ما سبق يمكن مناقشة الموضوع الحالي من خلال السؤال الرئيس التالي:

ما أهم الأسس السياسية والعلمية/الثقافية في الموروث الشعبي "كتاب كليلة ودمنة" والتي يمكن أن تسهم في البناء السياسي والعلمي/الثقافي للإنسان المعاصر؟

وهذا يتطلب معالجة النقاط الفرعية التالية:

1- عبد الله ابن المقفع وطبيعة الحياة السياسية والعلمية ، والاجتماعية في عصره.

2- دواعي الاهتمام بالموروث الشعبي وأهم وظائفه السياسية ، والعلمية والثقافية وعلاقتها ببناء الإنسان.

3- وضع الثقافة الشعبية في تقاربها وتمايزها عن الثقافة الصفوية (النخبوية) ودورها في بناء الإنسان.

4- موقف الخطاب التربوي والأدبي المعاصر من الثقافة الشعبية والأدب الشعبي.

5- دواعي الاهتمام بالبناء السياسي والعلمي والثقافي للإنسان العربي المعاصر.

6- أهم الأسس السياسية والعلمية والثقافية في كتاب كليلة ودمنة التي يمكن أن تسهم في بناء الإنسان ، وأهم ما يتضمنه من قيم وقضايا سياسية ، وعلمية وثقافية.

7- كيف تسهم التربية في تعزيز وإنماء الأسس والقيم السياسية ، والعلمية والثقافية المتضمنة في كتاب كليلة ودمنة من أجل بناء جيد للإنسان العربي المعاصر.

obeikan.com

ثانياً: منطلقات وقناعات فكرية حول موضوع الكتاب:

ننطلق في مناقشة الموضوع الحالي من القناعات الآتية:

1- تتبوأ قضية بناء الإنسان مكانة مهمة إذا قورنت بكل قضايا التنمية والتقدم.

2- لا يستقيم البناء السياسي والعلمي للإنسان من دون أن توجهه وتتوجه القيم والأخلاق.

3- لا يستطيع أي مجتمع أن يتقدم في ظل ثقافة تفتقر لعناصر ومقومات الإبداع فيه ، فالعامل الثقافي عنصر حاسم في بناء الإنسان سياسيا وعلميا.

4- الثقافة بنية كلية وأسلوب حياة ، وحركة مستقبلية متجددة تتنفس الحرية وحاضرها موصول بماضيها.

5- الثقافة الشعبية والأدب الشعبي جزء مهم من البنية الثقافية العامة يجب أن تشارك بإيجابيتها في بناء الجوانب المختلفة للإنسان.

6- غاية التربية بناء الإنسان والارتقاء به في ظل بنية ثقافية ومنظومة قيمية ارتقائية.

7- رقى المجتمع مرهون برقي أفراده وحسن بنائهم.

8- تستطيع التربية دعم النظام السياسي الذي يدعو إلى مصالحة الشعوب وتنمية وعيها العلمي.

يسعى الموضوع الذي يتناوله الكتاب إلى محاولة الكشف عن أهم الأسس السياسية والعلمية والثقافية ، وما يرتبط بها من قضايا وأطر قيمية أخلاقية مهمة في بناء الإنسان المعاصر، والمتضمنة في الموروث متمثلا في كتاب كليلة ودمنة. مما تطلب **تحقيق الأهداف الفرعية الأتية**:

1- توضيح مكانة ووضع الثقافة الشعبية بالنسبة إلى البنية الثقافية الكلية ، ودور تلك الثقافة في دعم الثقافة الوطنية في إطار تلك البنية ، وإسهاماتها المبدعة في بناء الإنسان جنبا إلى جنب مع الثقافة النخبوية.

2- إبراز أهم وظائف الموروث الشعبي السياسية والعلمية والتربوية...وعلاقتها ببناء الإنسان.

3- توضيح مبررات ودواعي الاهتمام بالبناء السياسي والعلمي الثقافي للإنسان.

4- استخلاص أهم الأسس السياسية والعلمية الثقافية اللازمة لبناء الإنسان والمتضمنة في كتاب كليلة ودمنة.

5- تبيان دور التربية والخطاب التربوى عامة في دعم تلك الأسس والإفادة منها في بناء الإنسان المعاصر سياسياً ، وعلمياً ، وثقافياً.

ثالثاً: أهمية الكتاب:

تتمثل أهمية الكتاب فيما يلي:

1- الكشف عن أسس بناء الإنسان في الموروث الشعبى واستلهامه في بناء الإنسان المعاصر لمجابهة تحديات الألفية واستيعاب مستجداتها.

2- يسهم في التعرف على موقع وأهمية الثقافة الشعبية والأدب الشعبى في تكوين الذاكرة الجمعية للشعوب وفي حفظ التراث والخصوصية الثقافية والقيم والثقافة الوطنية من محاولات الاختراق والتغريب والتغييب.

3- يوضح أهمية وعي التربية بتغيير واقعها لرأب الفجوة بين الواقع المتواضع في بناء الإنسان العربي ، وبين حلم البناء على أسس سليمة تضمن مشاركة المواطن العربي في نهضة العصر بإرادة ووعي.

4- تأتي أهمية المؤلف من خلال تحليل مضمون مؤلف من أشهر المؤلفات العالمية وهو كتاب كليلة ودمنة. فهو من أعظم ما قرأ في الحكمة والسياسة والحث على العلم والمعرفة وتبيان فضائلهما على الإنسان وتهذيب أخلاقه. كما يمثل الكتاب علامة بارزة وشهادة حية للعلاقة بين الأدب والفلسفة والسياسة والتربية. فيمثل موروث إنساني تتناقله الثقافات ، ففيه ثراء قيمي بالغ الأهمية نستلهمه من خلال عملية الاستبدال الناتج عن النفور من بعض القيم والرذائل وتعزيز البعض الآخر ثم الصعود القيمى في بعض الأحيان.

5- تثير أبعاد الكتاب الحالي الاهتمام بإبداعات الموروث الشعبي العربي والإنساني ، ومحاولة الكشف عنها ، والتعرف على ثقافات الشعوب الأخرى من خلال التواصل والتلاقح الثقافي ، والكشف عن بعض جوانب الازدهار والكمون في الثقافة العربية وأثرها في بناء الإنسان.

رابعاً: المصطلحات المتضمنة:

الموروث الشعبي: هو ضمير الشعب وعقله ، وروحه ، يتناول الحياة الشعبية في الماضي والحاضر والمستقبل ، ويعبر عن أوضاع وأحاسيس ، ووجود قاعدة عريضة من الشعب. ويرى غنيم (غنيم ، 2007 ، 69) : أن الموروث الشعبي هو تلك العناصر المتسللة إلى كياننا ، والتي تتحول إلى رموز الموروثات والتقاليد. ويمثل الأدب الشعبي

جـزء مـن الثقافـة الشـعبية. ويـرى حـواس (حـواس ، 2006 ، 107): أن الأدب الشعبي أكثر حظا في الالتفات إليه عن أنواع الثقافة الشعبية الأخرى ، إلى الحد الذي يوحد فيه مصطلح الأدب الشعبي والثقافة الشعبية.

أسس بناء الإنسان: مجموعة القواعد والمبادئ "الإيجابية" التي يرتكز عليها بناء الإنسان من خلال التربية. فهي استراتيجيات قابلة للتنفيذ من خلال التربية وقابلة للمراجعة بالحذف ، والإضافة ، أو التعديل كلما تطلب الأمر ذلك ، لمجابهة مستجدات العصر.

خامساً: المصادر التي اعتمد عليها الكتاب:

مصادر أولية: وتتمثل في كتاب كليلة ودمنة ، الطبعة الثالثة ، العام 1986 عن دار المعارف ، والكتاب عبارة عن سبعة عشرة بابا ، بالإضافة إلى المقدمة وباب عرض الكتاب.

مصادر ثانوية: تتضمن بعض ما كتب عن كليلة ودمنة وبناء الإنسان.

وعلى حد علم الباحثة قد خلت الدراسات المعينة من منظور تربوي في دراسة كليلة ودمنة. ومن تلك الدراسات: حكايات الحيوان في التراث العربي..(محمد رجب النجار) ، وكليلة ودمنة بين الأصول القديمة والمحاكاة الشرقية (مجدي محمد شمس الدين) وغيرها من الدراسات العربية ، دراسة *Gaulmin, G. Harris, J. (2010)* ودراسة *Tymieniecka, A-T. (*2011) ودراسة *Francois de Blois (1990)* ، وغيرها. وأيضا بعض الدراسات عن بناء الإنسان سبق ذكرها.

سادساً: المنهجية والإجراءات:

إن مناقشة مفهوم المنهج عملية يجرى حولها الاختلاف ، إلا أن طبيعة البحث هي التي تدعو الباحث التزام منهج أو أكثر لمعالجة الظاهرة ، وطبقا لطبيعة الدراسة الحالية والتي تهتم بالتعرف على أسس بناء الإنسان في كتاب كليلة ودمنة، فإنها تستخدم "المنهج الوصفي" مع الاستعانة بأسلوب "تحليل المحتوى" ، حيث التحليل الكيفي لمحتوى الكتاب ، في ضوء هدف البحث. وهذا يتطلب القيام **بالإجراءات المنهجية الآتية**:

1- قراءة الأدبيات المتعلقة بإبن المقفع وعصره.
2- قراءة في الأدبيات المتعلقة بالموروث الشعبي ، وقضية بناء الإنسان خاصة في البناء السياسي ، والعلمي / الثقافي.
3- التعرف على كتاب كليلة ودمنة والسياق التاريخي لتأليفه وترجمته إلى العربية.
4- التحليل الكيفي للكتاب للكشف عن أهم أسس البناء السياسي والعلمي/الثقافي ، وأهم القيم والقضايا التي عالجها الكتاب ، وكيف تستفيد منها التربية في بناء الإنسان المعاصر.

obeikan.com